النقد التداولي وإشكالية التطبيق عند الطالب الجامعي
(أية طريقة؟)

د. بشير مناعي
د.دلال وشن

ملخص المشاركة:

استند النقد الحديث والمعاصر في تحليله النصوص الإبداعية وتقويمها ومدارستها نظريا وتطبيقيا إلى مجموعة من المناهج النقدية الغربية، وردت إليه نتيجة الاحتكاك والمثاقفة والاطلاع على فكر الآخر عن طريق التلمذة والترجمة. وقد ساهم هذا الانفتاح على مستوى الممارسة النقدية في ظهور إشكالية التطبيق النقدي.

فأصبح الدارس للنقد الحديث والمعاصر يواجه إشكالية مقلقة تتمثل في كيفية تداول المصطلحات ومنهجية إعمالها في النصوص، وهذه الإشكالية ليست على مستوى الدارسين العاديين والمبتدئين كطلبة الجامعات، بل حتى على مستوى المهتمين والمتخصصين في الدراسات النقدية.

وتحاول هذه المداخلة إلقاء الضوء على إشكالية غموض المنهج التداولي، وإشكالية تطبيقه في الحقل النقدي، والبحث في أسبابها الرئيسة، وانعكاسات انفتاح الخطاب النقدي العربي الجديد على المناهج النقدية الغربية على الدارسين والمهتمين بعامة، وعلى الطالب الجامعي بخاصة.

Sammary of Participation

Modern and contemporary criticism analysis of straightened , and creative texts, with a theoretical and applied study was based on a set of western criticism , received as a result of a relationship to an acculturation and thoughts discipleship and translation, this openness has contributed to the practice of criticismon the problem of crtical application .

Thus why, the student of modern and contemporary Criticism facing the distrurbing dilemma is how to use terminology of its texts, and this problem is not at the levol of the students returning and beginners as college students, even at the level of the interested specialists and critical studies .

This intervention is trying to highlight the ambiguity of deliberative approach problematic, and applied in the field of criticism, look for major causes, and implications of opening up a critical discourse of modern, arabic western curriculum on scholars and those interessted in general, and especially on university ,s student.

<u>النقد التداولي وإشكالية التطبيق عند الطالب الجامعي(أية طريقة؟)</u>

يقول طالب جامعي في صفحة على شبكة الأنترنت عنونت بـ: تطبيق على الإتجاهات النقدية المعاصرة :

"السلام عليكم ،

أبحث عن تطبيقات على نصوص وفق المناهج النقدية الغربية كالتفكيكية والبنيوية والأسلوبية...الخ

لا أريد نشأة كل اتجاه ومنظريه وانما لو أردنا التطبيق على نص عربي فكيف نبدأ بارك الله فيكم"

إن التساؤل الذي طرحه هذا الطالب الجامعي يعبر بحق عن صميم ما يعانيه النقد العربي الحديث والمعاصر من جهة، ومن جهة أخرى ينم عن التيه الذي يعيشه الطالب في جامعاتنا الجزائرية والعربية من عدم فهم لطرائق تطبيق المناهج النقدية على مختلف الخطابات الأدبية، فمقولته بدأت بصميم الإشكال وهو البحث عن كيفية التطبيق، وعن دراسات طبقت المناهج النقدية الغربية حتى ينحو نحوها في التطبيق وتتضح به الرؤيا، لأن ما يتوفر لديه كثرة التنظير فقط لهذه المناهج ولا يجد حلا

لطريقة تطبيقها، وهو ما يعكسه الشطر الثاني من التساؤل فما إن ينهي كلامه عن البحث عن تطبيقات نقدية حتى يردفها بجملة عدم الحاجة لإيراد التنظير والنشأة والمؤسسين لهذه الاتجاهات.

إن أمثال هذا الطالب في جامعاتنا كثير فنجد الغالبية الساحقة تملأ الأطروحات والرسائل ومذكرات التخرج في التدرج وما بعد التدرج بالتنظير لمختلف النظريات والمناهج النقدية الغربية، دون التطبيق الواضح المقنع على النصوص والخطابات الأدبية العربية، ومع تفاقم هذه الظاهرة وغياب النقد التطبيقي في الساحة النقدية العربية رغم الزخم الهائل من المؤلفات النقدية العربية ، جاز لنا التساؤل وطرح الإشكال الآتي:

هل انفتاح الخطاب النقدي العربي الجديد على المناهج النقدية الغربية ، خصوصا على مصطلحاته أزمة؟ وما مدى تجليات هذه الأزمة في المشهد النقدي العربي، وفي الدرس الجامعي؟ وهل من طرائق وإجراءات تحل أزمة الطلبة الجامعيين المتعلقة بتحليل الخطابات الأدبية العربية المختلفة بآليات المناهج النقدية الغربية؟.

شهد الواقع العربي تغيرات عديدة سياسيا واقتصاديا وثقافيا وفكريا، وقد انعكست هذه التغيرات على واقعنا الأدبي والنقدي لأن النص بنية من بنى المجتمع يعتريه التغير والتحول وفق المتغيرات في الواقع المعيش، كما أنه مؤسسة اجتماعية أداته اللغة ، وعلى حد تعبيرات تومارس (Tomars): إن الأعراف الجمالية لا تقوم على الأعراف الاجتماعية، بل إنها أعراف اجتماعية من نمط معين وتترابط في صميمها مع بقية الأعراف، ولذلك نجد أن اختلاف التراكيب الإجتماعية يؤثر في التراكيب اللغوية ، ودراسة التطور التاريخي لأنماط اللغة يكشف عن ارتباط اللغة بالأبنية الاجتماعية ، وفي النقد الهيجلي ونقد هيبوليت تين تتساوى العظمة التاريخية أو الإجتماعية مع العظمة الفنية.

ومن ثمة يمكن القول إن الأدب أداة تعبيرية عن المجتمع سواء على مستوى اللغة أو الأفكار، وسوسيولوجيا الكاتب التي لا تنفصل عن إبداعه الأدبي.

المثاقفة النقدية:

النقد هو وصف العمل الإبداعي بعد إنتاجه مباشرة قصد مقاربته وتبيان مواطن الرداءة والجودة، ويسمى ممارس هذه الوظيفة بالناقد لأنه يميز بين الأصيل والزائف في النص الأدبي، هذا الناقد الذي استبعد في مرحلة مابعد البينوية ومع التصور السيميوطيقي ونظريات التلقي ليتحول إلى قارئ ممتاز ومنتج ثاني للنص يعيد بناءه من جديد، وغالبا ما ترتبط وظيفة الناقد للنص المنشود بالوصف والتفسير والكشف والتحليل والتقويم، ليتم نقد النص الأدبي عبر مجموعة من الخطوات والإجراءات الضرورية التي تتجسد في قراءة النص وملاحظته وتحليله مضمونا وشكلا ثم تقويمه بالسلب أو بالإيجاب، ليتم توجيه العمل الأدبي الوجهة التي ينتمي إليها[1]

ومنذ منتصف القرن العشرين الميلادي يعيش النقد العربي انفتاحا على النقد الغربي بكافة تحولاته وما تشهد الساحة النقدية الغربية من تطورات في المناهج من النظرية إلى التطبيق، " بدءا بمناهج الحتمية العلمية (المنهج التاريخي، والمنهج النفسي، والمنهج الاحتماعي....)، ومرورا بالأسلوبية والنقد الجديد وانتهاء باللسانيات ونظرية التلقي والنقد النسائي والنقد الثقافي"[2].

تختلف هذه المناهج في إجراءاتها وتصوراتها وممارساتها على النص الأدبي، إذ لكل منها خلفيته ومرجعيته التي ينطلق منها في معالجته للخطاب الأدبي وتحليله قصد كشف الجانب الخفي منه. فيتعامل المنهج التاريخي مع النص الأدبي على أنه وثيقة تاريخية، فيحاول" مقاربة عدد من القضايا والموضوعات التي تتعلق بمدى تأثر العمل الأدبي أو كاتبه بالوسط المعيشي والتاريخي لحقبة زمنية ما، ومدى تأثيره بالمقابل فيه، كما يدرس الأطوار التي مر بها فن من فنون الأدب أو لون من ألوانه، أو معرفة مجموعة من الآراء التي أبديت في دراسة عمل أدبي أو في صاحبه، بغية موازنة هذه الآراء والاستدلال بها على لون أو نمط

1/ جميل حمداوي ، النقد العربي ومناهجه ص 1

2/ صالح بن سعيد الزهراني، العقل المستعار بحث في إشكالية المنهج في النقد الأدبي العربي الحديث(المنهج النفسي نموذجا)، ص .09

التفكير السائد في عصر من العصور.كما يهتم...بجمع خصائص جيل أو أمة في آدابها ومقاربة إيجاد صلة بين هذه الخصائص وجملة الظروف والمعطيات التي اكتنفتها"[3]

أما المنهج النفسي فيعُدّ العنصر النفسي عنصرا أصيلا وبارزا في العمل الأدبي، فيفسر القيم الفنية الكامنة فيه، ويتصور الخصائص الشعورية والتعبيرية لصاحبه، في ينطلق المنهج الاجتماعي أو النقد الاجتماعي من فكرة بيير باربيريس التي ترى أن " الأدب ظاهرة اجتماعية ، وأن الأديب لا ينتج أدبا لنفسه وإنما ينتجه لمجتمعه منذ اللحظة التي يفكر فيها بالكتابة وإلى أن يمارسها وينتهي منها"[4]، لتتضح على إثره مجموعة من المفاهيم النقدية الهامة مثل: الفن والمجتمع، ورسالة الأدب، ورسالة الفن، والأدب الملتزم، وكلها مفردات اجتماعية تنظر إلى الأدب آلية تطور ورقي وتوعية داخل المؤسسة الاجتماعية.

والملحوظ أن المناهج السابقة جميعها تقف عند حدود المحيط الخارجي للنص، على عكس الأسلوبية التي ركزت على النص وأولته اهتماما خاصا، ونظرت إليه على أنه بنية مغلقة على ذاتها، فوصفت بأنها" البحث عما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أوّلا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا"[5]

وجاءت البينوية لتجمع بين النص والمؤلف وتضيف لهما طرفا ثالثا هو المتلقي في البحث عن أنظمة النص ووحداته مع التركيز على النص الأدبي، ثم ما لبثت التفكيكية أن انتقدت كلاسيكية المناهج التقليدية، كما" انتقدت المنهج البينوي والسيميائي والأسلوبي، وهي مناهج نصانية احتفت بجماليات التص الأدبي من هو كتلة من العلاقات المشعة بلانهائية الدلالة، فكان التركيز منصبا على العلاقات الداخلية للوحدات والمفردات والمكونات، وفي ضوء النظر إلى هذه العلاقات الداخلية يتحول النص الأدبي إلى شبكة من الدلالات والإيحاءات "[6]، فأماتت بذلك النص والمؤلف معا واستبقت المتلقي لتجعله مبدعا يكتب نصا موازيا للنص المكتوب.

وقد حصر الدكتور محمود أمين العالم اتجاهات المثاقفة النقدية العربية مع المناهج النقدية الغربية في أربع مدارس تختلف في طرائقها الإجرائية وجذورها الابستيمولوجية والفلسفية وهي:

" 1/ المدرسة الوجدانية(العاطفية): وتضم النظرية الرومانسية الظاهرة في تطبيقات مدرسة الديوان، وجماعة أبولو، وجهود جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة. وتطبيقات المنهج النفسي عند أحمد محمد خلف الله، والنويهي والخولي ومصطفى سويف ويحي الرخاوي.

2/ الذوق الفني: ويمثلها نقد طه حسين الذي بدأه متأثرا بالمناهج التقليدية ثم تأثر بالمنهج التاريخي عند هيبولت تين، وكما نجد عند محمد مندور في نظراته النقدية التي جمع فيها بين مناهج البحث العلمي والذوق الفني.

3/ المدرسة النقدية الجدلية: التي ترتكز على مفهوم الانعكاس مبدأ أساسيا لها، كما في كتابات عصام حفني ناصف، وسلامة موسى، وعمر فاخوري، ومفيد الشوباشي، جابر عصفور، محمد بنيس، يمنى العيد، سيد البحراوي، أمينة رشيد...إلخ.

4/ المدرسة النقدية الوضعية والبينوية: ويمثلها كتابات أدونيس، صلاح فضل، فضل غزول، سيزا قاسم، كمال أبو ديب،عبد الفتاح كيليطو، عبد الله الغذامي..."[7]

2/ <u>اللسانيات والمناهج النقدية:</u>

لا جرم أن اللسانيات في القرن العشرين مفتاح كل حداثة في العلوم الإنسانية فقد هيمنت عليها باستعمالها حق متابعة اللغة ، فاتجهت إلى جميع فروع المعرفة الإنسانية من علوم إنسانية وعلوم دقيقة وغيرها، فأخذت مكانها من علم النفس، وعلم الاجتماع والتاريخ والبيولوجيا والمعلومات والرياضيات...

وكان النقد من بين العلوم التي أسلمت مقاليد حكمها إلى اللسانيات ففتحت مملكته وأدخلته الحداثة من بابها الواسع، فتخلى عن المناهج السياقية(كالمنهج التاريخي، والانطباعي، والنفسي والاجتماعي...)، ليحتضن المناهج النصانية التي أصبح معها نقدا لسانيا.[8]

3/ مناهج النقد الأدبي، غايتها وأهم أنواعها.www.Arabna.Info.

4/ بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص .69

5/ سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية.

6/ بشير تاوريريت، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصردراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية،ص .05

7/ صالح بن سعيد، العقل المستعار بحث في إشكالية المنهج في النقد الأدبي العربي الحديث(المنهج النفسي نموذجا)، ص 10.

أضحت المناهج النقدية المعاصرة من الأهمية بمكان، بعد أن تشبعت بروح اللسانيات وصارت تستشعر كنه الأدب واللغة بما يقارب المفهوم العلمي، وذلك في تناولها للقضايا بدقة ووضوح . وتعد التداولية – بعدّها استراتيجية هامة في تحليل الخطاب – أقدر وأصلح هذه المناهج بما تتيحه من إجراءات فعالة وهذا يعني " الجمع بين المنهج البنائي الوصفي والمنهج التفسيري ...لأننا نحتاج إللى تفسير الظواهر الثقافية أكثر من وصفها، وأن الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن المجتمع والتاريخ"[9].

إن العملية الإبداعية أو اللغوية لا تتحقق إلا في ظل تواصل حقيقي بين باث ومتلق، ولا أقصد بالحقيقي التواصل العيني لكن أن يكون المؤلف من ضمن اعتبارات الناقد فضلا عن طبيعة الأثر الأدبي أو النص " لأن أي عملية تواصلية لا تكاد تتم في غياب الشروط التداولية فملفوظات الخطاب لا تنفصل هي الأخرى عن أسبقية التلقي: ومنها الباث والمستقبل والجمهور والنسق، وشكل الخطاب والمقام والقناة والموضوع والغرض ومفتاح التقويم" [10]، وعلى هذا الأساس ولج المنهج التداولي ساحة العملية النقدية بكافة آلياته وإجراءاته، وبما يتميز به من تشعب نظري، واختلاف في أصوله الفلسفية وروافده المنهجية التي بني عليها.

يدل المعنى اللغوي للتداولية والوارد من الأصل(دول) على التفاعل والتبادل والمشاركة، فجاء في لسان العرب: الدّولة بالفتح في الحرب: أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى، يقال: كانت لنا عليهم الدّولة والجمع دول، والدُّولة بالضم في المال، يقال: صار الفيء دُولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا. والجمع دولات ودول، وقال أبو عبيدة: الدّولة بالضم اسم للشيء الذي يتداول به بعينه والدّولة بالفتح الفعل...وتداولنا الأمر أي أخذناه بالدّول.ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس [11].

أما في معجم مقاييس اللغة فإن الفعل الثلاثي(دول) على أصلين أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان الى اخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء.

ومما سبق يتبين أن المعنى اللغوي للتداولية لا يخرج عن التحول والانتقال والتبدل سواء تعلق ذلك بالأمكنة أو بالأحوال، وكذلك هي اللغة متحولة بين المتكلم والسامع، تكون عند المتكلم بحال ثم تنتقل إلى السامع لتصير إلى حال آخر.

وقد اختلفت التعاريف وتباينت حول حقيقة التداولية وماهية هذا المنهج المعاصر، وهذا الاختلاف يصعب عرضه في هذا المقام ولكن التداولية في نظر مؤسسها(أو مؤسس تداولية أفعال الكلام كما يحلو للبعض تلقيبه) جون أوستين (J.Austin) يقول: "إن وظيفة اللغة لا تقتصر على نقل وإيصال المعلومات وإرسالها أو التعبير عما يجول في خواطرنا من أفكار وما يجيش في صدورنا من مشاعر و إظهارها، وإنما يجب أن تضطلع اللغة – وهو أمر موافق لطبيعتها- بتحويل ما يبدو من أقوال في إطار ظروف سياقية، إلى أفعال ذات سمات اجتماعية".

وأشار الأستاذ الدكتور مسعود صحراوي في تعريف واضح للتداولية في كتابه" التداولية عند العلماء العرب" إلى أن ميدان النقد والدراسات اللسانية لم يصبح حكرا على التيارين البينوي والتوليدي وحسب، بل إن الساحة النقدية صارت تعج بالنظريات والمفاهيم اللغوية المتباينة، والتي تمخض عنها ميلاد عدد من التيارات اللسانية. ثم يعرف التيار التداولي بقوله"مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرائق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح ، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها لخطاب والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة وناجحة، والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية." [12]

وبالاستناد إلى مجموع التعاريف التي اطلعنا عليها فإنها تتفق جميعها على أن التداولية تدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات وكل ما له علاقة بالنشاط اللغوي فهي أداة للتفسير والنقد معا.

8/ يحي بعيطيش، نحو مقاربة لتفسير إشكالية الغموض في النص النقدي العربي، مجلة الجسرة الثقافية،Aljasra.org

9/ سعيد بولنوار، التداولية منهج لساني واستراتيجية في تحليل الخطاب، ص 01.

10/ المرجع نفسه، ص 01

11/ ابن منظور، لسان العرب، ص 432/431 مادة دول.

12/ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 5

أثبت المنهج التداولي طواعيته وقدرته على كشف المستويات الخفية من النص الأدبي ، بمختلف أشكاله وذلك بوساطة الآليات الإجرائية التي يوفرها، كما أثبت هذا المنهج أن لديه عديد الوسائل التي يمكن أن يستخدمها تقنيات لقراءة النصوص ونقدها وإعادة إنتاجها كنظرية الأفعال الكلامية، والاستلزام الحواري، ونظرية القصدية، والإشاريات بأنواعها...

تدرس التداولية اللغة أثناء الاستعمال أو بصفة أدق تدرس علاقة اللغة بمستعمليها ومؤوليها ، فتهتم بالموقف التواصلي وجميع مكوناته وكل ما من شأنه المساهمة في إنتاج المعنى من قبل المتكلم وتفكيك الكلام لفهم المقاصد والأغراض من قبل المتلقي، وهي عملية ثانية لإنتاج المعنى.

أصبح للتداولية مجموعة من القضايا اللغوية التي هي محل اهتمامها وموضوع بحثها وأسقطت ذلك على النص الأدبي في تحليلها له فهو (النص الأدبي) ، نسيج لغوي وتركيب متشابك معقد من العلاقات اللغوية التي يفك سمتها وتحل عقدتها بالآليات الإجرائية التداولية . ومن هنا تبدو قيمة البحث التداولي في كونه ينظر إلى النص الأدبي بعدّه خطابا في سياق اجتماعي محدد، فتسعى إلى الإجابة عن بعض الطروحات اللسانية المتعلقة به، والتي كانت محل قلق وإزعاج للمباحث البينوية واللسانية السابقة.

وذلك من قبيل:

- من المتكلم؟
- من المتلقي؟
- ماهي مقاصدنا أثناء الكلام؟
- كيف نتكلم بشيء ونقصد شيئا آخر؟
- كيف نتعاون في عملية التخاطب حتى نتجنب الغموض والإبهام؟
- هل نكتفي بالمعاني الحرفية للخطاب لتحديد المقصود أم أن هناك معاني ضمنية علينا استخلاصها؟.

لقد توصلت البحوث التداولية إلى إرساء مقولات ومفاهيم أساسية في مجال تحليل الخطاب الأدبي أبرزها:

- نظرية أفعال الكلام.
- نظرية المقاصد.
- نظرية المحادثة.
- الإشاريات.....إلخ.

3/ غموض المنهج التداولي وإشكالية التطبيق النقدي:

إن الواقع النقدي أثبت أن النقاد الغربيين – الذين نبتت في أرضهم النظريات النقدية واللسانية المختلفة- قد استوعبوها وتمثلوا مفاهيمها ومصطلحاتها ثم بنوا عليها بعد ذلك مناهجهم النقدية (بينوية وأسلوبية وسيميائية وتفكيكية...الخ)، في الحين الذي تسابق فيه النقاد العرب المحدثون والمعاصرون إلى تبني المناهج النقدية بجميع تفرعاتها دون التسلح بالثقافة أو المعرفة اللسانية اللازمة التي تمكنهم من استيعاب تلك المناهج بالرجوع إلى أ صولها الفكرية واللسانية والفلسفية، الأمر الذي تسبب في إشكالية غموض متعددة الجوانب للنص النقدي المعاصر أثرت سلبا على المبدعين والمتلقين، خاصة من المتعلمين المبتدئين ذوي التخصص كطلبة الجامعة.

إن التأثر الناشز بالاتجاهات الألسنية والسيميولوجية والبينوية والتفكيكية وسواهما مما أنتجته الحداثة وما بعد الحداثة قد ولد إشكالات عديدة خاصة على مستوى المصطلح النقدي وهو ما حدث مع المصطلح النقدي التداولي .

أ/ غياب المصطلح التداولي: المصطلح هو ما " اتفقت الجماعة على استخدامه ليرمز إلى مجموعة من الأفكار والمذاهب ترسبت مع الزمن وأصبح لها من التحديد ما يبرز هذا التعبير أو المصطلح، بحيث إذا أطلق فإنه يرمز على الرغم من صغره إلى حركة أو فكرة ذات سياق تاريخي وفلسفة جمالية، وملامح فنية"[13]، وإذا كان المصطلح أداة لغوية مفهومية، إلا أنه قد أصبح واحدا من إشكاليات حركة النقد الأدبي العربي المعاصر.

ومن أهم إشكالات المصطلح واستخدامه، والتي أشار إليها معظم الباحثين نذكر:

13/ عبد الحميد إبراهيم، قضية المصطلح الأدبي الشعر ومتغيرا المرحلة، ص .93

- **<u>قصور الترجمة:</u>**

المشهور تاريخيا أن حركة الترجمة التي بلغت ذروتها في عهد المأمون هي التجربة التي مرت بها اللغة العربية كلغة ناقلة للفكر المدون بلغات أخرى، ولقد مرت هذه التجربة بعدة أطوار في نقلها الفكر الفلسفي للمجال العربي، كما أن هذا النقل قد تم بتوسط لغات مختلفة ،أهمها السريانية ثم الفارسية وتذكر المصادر التاريخية أن هناك نقولا تمت مباشرة من اللغة اليونانية . وكان لرداءة الترجمة وضعفها في أطوار الترجمة الأولى دور رئيس في أن لا يجد الفكر الفلسفي القبول في المجال التداولي العربي ويعود ذلك وفقا للدكتور طه عبد الرحمن إلى عدم تمكن الناقل من استيفاء مقتضيات المجال المنقول إليه. بل يعمل أحيانا على مصادمة مألوف المجال المنقول إليه، ومن ثم ترسيخ الفروق وتشييد المصادمة بين المجالين، وهذا يرجع إلى عدّة أسباب منها القصور في ضبط المقتضيات التداولية العربية وتجاهل مضمون العقيدة الإسلامية، والجهل بالتوجه العملي للمعرفة الإسلامية .

ولئن تمكن المترجمون بعد ذلك من استصلاح وتنقيح بعض النقول والقيام بالشروحات والتلخيصات وتقريب أغراضها، والتي استمرت تشتكي من قلق العبارة حتى زمن ابن رشد ،إلا أن جميع هذه الجهود لم تحقق الترجمة التي تستطيع نقل المضمون الفكري إلى المجال التداولي العربي بشكل يجذر هذا الفكر في الممارسة الفكرية العربية.

ومنذ مطلع القرن العشرين أخذت الترجمة إلى العربية في الازدهار، وحركة الترجمة الحالية يجب أن تستثمر النظريات والدراسات الحديثة في الترجمة كما يفيد من الإرث الذي خلفته تجارب الترجمة في التراث الإسلامي ، وأن تكون على وعي تام لمقتضيات المجال التداولي العربي الإسلامي حتى يلقى ما تنقله من فكر القبول والانتشار وإثراء مجال الممارسة، إذ إن التصادم الذي قد تحدثه الترجمة في نقل بعض المفاهيم والمصطلحات قد يؤدي إلى وأد الفكر أو المنهج المنقول في مهده، ويخسر الفكر العربي مناهج وتجارب فكرية كان يمكن لها أن تضيء مجالات اللامفكر فيه في التراث العربي وأن تحفر معرفيا في مجالات لم تكن مناهج البحث آنذاك على وعي بها، فكل نظر مشروطة نتائجه بمناهجه.[14]

يقول صلاح فضل عن دور الترجمة وما لها من نتائج استخدام المصطلح الخاص بكل منهج " يظل هناك أمران يعوقان جديا إمكانية الإفادة الكاملة منها، أولهما يتصل بلغة المترجم المعماة التي تغلب عليها العجمة والتراكيب الغريبة ويعز التقاطها على القارئ المختص مما يجعله يتمنى لو تمكن منها بلغتها الأصلية، وثانيهما يرتبط بعمليات النشر والتوزيع، إذ تتدخل العوامل السياسية المتقلبة لتجعل الحصول على كتاب من دمشق أو بغداد أصعب على أهل مصر مثلا من طوكيو أو بكين" [15].

وقد أدى قصور الترجمة إلى الغموض والاضطراب في استخدام المصطلحات النقدية عند كثير من النقاد العرب، وبالتالي الاضطراب في تطبيق المصطلح الأجنبي، وهو أحد أسباب قيام الأزمة في حركة الخطاب النقدي الأدبي العربي المعاصر، وسبب هام في الأزمة التي يجدها الطلبة في الجامعات من عدم التمكن والتطبيق الجيد لهذه المصطلحات على الخطابات الأدبية في أطروحاتهم ومذكراتهم.

إن إشكالية غياب المصطلح التداولي أحد أسباب تفاقم أزمة النقد التطبيقي في الساحة النقدية العربية، فالمصطلح وما ينطوي عليه من مفهوم معرفي دقيق، يوفر الجهد الكثير في إنتاج خطاب نقدي أدبي جاد وعلمي، لأن أهم فعالية يقوم بها المصطلح اتجاه الخطاب الأدبي الإبداعي هو استيعابه ثم تجاوزه لكشف خباياه وإنتاجه من جديد، وقضية غياب المصطلح هي الأمر الذي ذهب إليه عديد النقاد العرب من أمثال الدكتور إحسان عباس الذي رأى أنه ليس لدينا مصطلح نقدي يوازي ما جد من مصطلحات نقدية غربية، وما تقدمه الترجمات العربية من مصطلحات ومذاهب نقدية، مجرد اجتهادات ومحاولات لا أكثر، لأن لكل مصطلح نقدي غربي مدرسة فلسفية انبثق عنها وعلى الناقد اعتمادها. وإلى الإشكالية ذاتها يشير عبد السلام المسدي الذي يرى بأنه" لا مخرج لنا من مشابك المعضلة الاصطلاحية في ارتباطها بالمسألة الفكرية وبالقضية الثقافية، بالاستشراف الحضاري الفسيح إلا بتأسيس ثقافة معرفية بعلم المصطلح"[16].

ويقول الدكتور يوسف وغليسي الذي يشير إلى حقيقة النقد العربي الحديث والمعاصر ، والذي لا يوائم بين النظرية والتطبيق ليقول:" إن إشكالية المصطلح النقدي أساس لكل ما نراه من خلل أو انحراف أو ضبط منهجي، فالمنهج والمصطلح وجهان لورقة

14/ محمد الديداوي، إشكالية وضع المصطلح المتخصص وتوحيده وتوصيله وتفهيمه وحوسبته،Droit. tlemcen.over.blog.com

15/ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ص.07

16/ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، ص16.

نقدية واحدة وهما رديفان متلازمان، وأن المصطلح في أدنى وظائفه النقدية هو مفتاح منهجي لأن المصطلحات المستخدمة في القراءة النقدية تحدس بالمنهج الذي ينطوي تحت المصطلح، وأن استخدام مصطلحات بعينها يشكل علامة على المنهج المتبع ، لكن الباحث يسرع إلى تطبيق منهج نقدي باستخدام مصطلحات غير المناهج ، يحيل على قصور منهجي وفوضى نقدية، لينطلق من فرضيات تبين العلاقة بين المصطلح والمنهج على مستوى التطبيق ، وممكنات قراءة الخطاب النقدي برمته من خلال تفكيك جهازه الاصطلاحي ، ليأتي بحثه تأكيدا على فرضياته تلك. ليعرف الخطاب بأنه الاستخدام النوعي للغة في نطاق تواصلي معين، فالخطاب النقدي هو مجموعة وافرة من النصوص النقدية تتقاطع خصائصها المشتركة في الاستعمال النوعي المتقارب لجملة من المناهج والآليات النقدية الحديثة، يعكسها النهل من قاموس مصطلحي مشترك"[17].

ب/ غياب المنهج التداولي وغياب منهجية استخدامه:

إن المعنى اللغوي لمفردة المنهج في المعاجم والقواميس يشير إلى أنه شبكة من الدلالات اللغوية التي تحيل على الخطة والطريقة والهدف والسير الواضح والصراط المستقيم.وهذا يعني أن المنهج عبارة عن خطة واضحة خطواتها من البداية إلى النهاية، له مجموعة من الفرضيات والأهداف والغايات ويمر عبر سيرورة من الخطوات العملية والإجرائية قصد الوصول إلى نتائج ملموسة ومحددة بدقة مضبوطة.

ويقصد بالمنهج النقدي في مجال الأدب تلك الطريقة التي يتبعها الناقد في قراءة النص الإبداعي والفني قصد استكناه دلالاته وبنياته الجمالية والشكلية. وذلك بالاعتماد على التصور النظري والتحليل النصي التطبيقي.

إن عمل الناقد يبدأ بتحديد مجموعة من النظريات النقدية والأدبية ومنطلقاتها الفلسفية والابستيمولوجية ويختزلها في فرضيات ومعطيات أو مسلمات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى مرحلة التأكد من تلك التصورات النظرية عن طريق التحليل النصي والتطبيق الإجرائي لاستخلاص مجموعة من النتائج والخلاصات التركيبية، ولا" ينحصر بمفهوم واحد، أو أدوات متعددة، أو بعض القيم والمعايير إذ هو في الحقيقة مجموعة من المفاهيم والتصورات المتسقة والأدوات والخطوات الإجرائية والقيم والمعايير ، وهو بهذا المعنى رؤية لا مجموعة من الآراء والمنهج رؤية فلسفية متكاملة أي رؤية للأدب والنقد والإنسان والعالم" [18].

والطبيعي أن النص هو الذي يستدعي المنهج النقدي، والأمر الشاذ وغير المقبول حينما يفرض المنهج النقدي قسرا على النص الأدبي، وهوما يحصل عند أغلب النقاد العرب المحدثين والمعاصرين، إذ يفرض على النص منهج لا يتناسب وطبيعة النص الأدبي العربي ولا يتفق مع خصوصياته، فيفتقد إلى العمل النقدي إلى العمق والدقة في التحليل وما ينتج عن ذلك من أعمال نقدية خالية من التطبيق المنهجي، تتميز بالسطحية والغموض فلا يجد فيها الطلبة غايتهم المنشودة.[19].

وقد حدد الباحثون أربعة أنماط من القراءة وأربعة أنواع من النصوص الأدبية على الشكل التالي:

- قراءة مفتوحة ونص مفتوح
- قراءة مفتوحة ونص مغلق
- قراءة مغلقة ونص مفتوح
- قراءة مغلقة ونص مغلق.[20].

أما عن موقعية المنهج التداولي في الحقل النقدي فنؤكد على ما جاء في التعريف السابق من أن المنهج هو رؤية فلسفية متكاملة وهو أحد الأسباب التي أدت إلى وجود إشكالية التطبيق أو إشكالية منهجية تطبيق الآليات التداولية على النصوص الإبداعية، فأغلب الدراسات النقدية التي يضمها الخطاب النقدي العربي المعاصر، والتي تدعي أن منهج دراستها هو المنهج التداولي، تتسم في غالب الأحيان باللامنهجية، وتنم عن عدم معرفة بالمناهج النقدية القديمة أو الحديثة ، والغريب أن هذه اللامنهجية هي شعار عديد النقاد وحجتهم في ذلك أن المنهج أيا كان يفرض قيودا أثناء التطبيق، فالحل عندهم هو اللامنهج في العملية النقدية المعاصرة.

ج/الخلفية الفكرية المتضادة:

17/ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 14.

18/ شكري الماضي، تحليل الخطاب النقدي، ص 212.

19/ النقد العربي ومنهجه، ص1و2.

20/ المرجع السابق، ص02.

إن أكثر المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة ذات مصدر أوربي غربي غريب عن الحضارة والبيئة العربية بعامة، والثقافة النقدية العربية بخاصة. فهي تأسست أصلا اعتمادا على مفاهيم فكرية وفلسفية غربية وتوافق نصوص إبداعية ناتجة عن حضارة غربية عن الحضارة العربية.والمنهج التداولي كذلك، فهو يرتكز على خلفية فكرية وفلسفية ولسانية متشعبة فينهل من علم النفس المعرفي ومن الفلسفة التحليلية باختلاف اتجاهاتها ، كما له خلفية لسانية وسيميائية ....وبالتالي فإن امتلاك آلياته واتخاذه منهجا لنقد الخطابات الأدبية أمر يتطلب عميق تأمل، واطلاع على مختلف هذه الروافد المتشعبة وهو ما يفتقر إليه عديد النقاد العرب.

د/ أزمة الفكر العربي وإشكالية التطبيق:

إن الناقد العربي ما هو إلا إنسان ثم مثقف يعيش تأثيرات تأزم الفكر الأدبي والثقافي العربي، وتساهم حالة الكسل الذهني وضعف الاستيعاب بنسبة كبيرة في سوء التطبيق غير الدقيق للمنهج التداولي، وذلك بسبب عدم هضم هذا المنهج بصورة دقيقة جيدة ومتكاملة، وعدم التمكن من فهم آليات اشتغاله على النص الأدبي العربي، كما أن معظم التجارب النقدية التداولية العربية تفتقر إلى معرفة بالعلوم الإنسانية التي استفاد منها التيار التداولي في أصوله الغربية، مما جعل الخطاب النقدي العربي المعاصر معزولا عن تلك العلوم وعن حركة الواقع التداولي في النظريات النقدية الحديثة والمعاصرة في الغرب.

الخلاصة:

ومحصول القول: إن حقيقة إشكالية النقد التطبيقي في الساحة النقدية العربية، هي إشكالية تلقي الخطاب النقدي العربي للمفاهيم الغربية الجديدة، فهو تلق فردي تعوزه روح الانسجام والتناسق.

والمنهج التداولي أحدث المناهج اللسانية التي سلمها النقد مفاتيح ملكه ولكنه كغيره من المناهج السابقة التي استثمرت في ميدان النقد، يفتقر إلى المصطلح وإلى منهجية في استخدامه آداة لتحليل الخطاب الأدبي، ومصطلح التخاطب هو المصطلح الواجب استخدامه في دراسة النص الأدبي دراسة تداولية لأنه ينهض على التصور التداولي للتواصل بين المتكلم والمخاطب فكل متكلم يراعي في إنشاء خطابه مخاطبا خصوصا وهو يتحول في أغلب مقامات التخاطب إلى مخاطب وفق قاعدة تبادل المواقع المستمر بين المتخاطبين، وكل مخاطب هو أيضا متكلم لأنه يتبادل كذلك موقعه والمتكلم الأول، وكل متكلم يوجه المخاطب إلى استعمال بنية كلامية مخصصة فعندما يطرح سؤالا عن حال من الأحوال يكون الجواب حاملا لدلالة الكيفية التي يتضمنها الحال .

المراجع:

1/ جميل حمداوي ، النقد العربي ومناهجه http://vb.arabsgate.com/

2/ صالح بن سعيد الزهراني، العقل المستعار بحث في إشكالية المنهج في النقد الأدبي العربي الحديث(المنهج النفسي نموذجا)، www.dahsha.com/

3/ مناهج النقد الأدبي، غايتها وأهم أنواعها.www.Arabna.Info.

4/ بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2006.

5/ سعد أبو الرضا، النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية.http://www.alfaseeh.com / ،

6/ بشير تاوريريت، التفكيكية في الخطاب النقدي المعاصردراسة في الأصول والملامح والإشكالات النظرية والتطبيقية، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر.

7/ يحي بعيطيش، نحو مقاربة لتفسير إشكالية الغموض في النص النقدي العربي، مجلة الجسرة الثقافية،Aljasra.org

8/ سعيد بولنوار، التداولية منهج لساني واستراتيجية في تحليل الخطاب، /http://maamri-ilm2010.yoo7.com

09 / ابن منظور،(محمد بن مكرم ت 711ه)، لسان العرب،دار صادر، بيروت، لبنان،ط1، 1997.

10/ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط1، تموز يوليو 2005م.

11/ عبد الحميد إبراهيم، قضية المصطلح الأدبي الشعر ومتغيرات المرحلة.

12/ محمد الديداوي، إشكالية وضع المصطلح المتخصص وتوحيده وتوصيله وتفهيمه وحوسبته، Droit. tlemcen.over.blog.com

13/ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1987.

14/ عبد السلام المسدي، النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1983.

15/ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.
16/ شكري الماضي، تحليل الخطاب النقدي.
17/ النقد العربي ومنهجه.